الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المديرية العامة للبحث العلمي والتطوير التكنولوجي
مركز البحث في تهيئة الإقليم

الملتقى الدولي حول

التقنيات المتقدمة لتثمين و الترويج لسياحة التراث الثقافي والطبيعي في الأقاليم المعرضة للخطر

(نمط هجين) 12 -13 ماي 2025

التراث والهويات في ظل العولمة الثقافية

"Pertinence d'un regard introspectif savant pour le réquisitoire de la mémoire des territoires et des lieux"

تشير جميع الدلائل بأن التراث غالبا ما يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالهوية الوطنية لبلد ما. فمن الواضح أن الأبنية والمواقع الطبيعية والأعمال الفنية تعكس بلا شك مهارة وابداع الإنسان مما يضفي عليها طابعًا عالميًا. ومع ذلك، تزداد قيمة هذا التراث وأهميته على المستوى المحلي حيث يدرك السكان الأصليون بشكل أفضل السمات الثقافية والرمزية المنبثقة منه (آنا بيري فالنتيني، 2021). وتتجلى هذه الحقيقة من خلال المبادئ التوجيهية العامة للسياسة الوطنية التي تهدف إلى وضع أساليب عمل ديناميكية للحوكمة على الصعيدين الوطني والإقليمي. بهدف الحفاظ على هذه الموارد وتطويرها، والتي غالبًا ما تكون عرضة للمخاطر الطبيعية والبشرية (إبرو برينشي وآخرون، 2023)

كما يشير التاريخ البشري إلى أن تشكل الأقاليم يتم وفق عملية تدريجية تُبنى ببطء، وتتأثر بعوامل اجتماعية واقتصادية وثقافية متداخلة. هذه العملية تولد أصولاً تقليدية، وتراثًا ثقافيًا مستمرا يعزز الشعور بالانتماء إلى الماضي(شوواي 2009). هذا التمسك بالذاكرة الجماعية، والمرجعيات التي تفرضها تجربة الجماعة يضعنا أمام تفاعل مستمر بين إنسان الأمس وإنسان اليوم، وبينما "يوجد في كل واحد منا جزء من إنسان الأمس، وإن كان هذا الجزء يتفاوت في حجمه من شخص لآخر، [يبدو أن] إنسان الأمس هو المهيمن فينا بقوة الظروف" (دوركايم 1938). ومع ذلك، تواجه هذه الآثار والمعالم والموارد الطبيعية تهديدات مستمرة بسبب التغيرات السريعة التي يشهدها العالم المعاصر.لقد ظلت المواقع التراثية والبيئات الطبيعية مهجورة ومهملة لآلاف السنين، ما جعلها عرضة للعديد من المخاطر الطبيعية والبشرية على حد سواء، (أيسون توبالو أوغلو أوزونيل، 2023). وقد أشار المركز الدولي لدراسة صون وترميم الممتلكات الثقافية (ICCROM) إلى الأضرار التي لحقت بآثار النيبال جراء الزلزال الذي ضربها عام 2015م، من برج داراهارا إلى ساحة دوربار (المصنفة ضمن التراث العالمي لليونسكو)، مرورًا بساحة ستوبا سوايمبهوناث؛ حيث طمس الزلزال فصلاً كاملاً من تاريخ التراث النيبالي، وهذا ما يذكرنا بما حدث عام 2003م، عندما دمر زلزال بقوة 6.5 درجة على مقياس رشتر مدينة بام التاريخية في إيران. وفي القرن السابع عشر، تعرضت مدينة نوتو في صقلية للتدمير الكامل بسبب ظاهرة طبيعية مماثلة (منغ زهو وآخرون، 2021).

يُعَد هذا التراث مهددًا بالنزاعات والحروب وأعمال النهب، حيث يتعرض للتدمير المتعمد والاتجار غير المشروع. وقد قدرت الشرطة الدولية (الإنتربول) في عام 2018م، حوالي واحد وتسعون (91) ألف قطعة فنية وأثرية وثقافية قد تم نهبها (تقرير الاتجار بالممتلكات الثقافية لعام 2021)، ويظل هذا الاتجار ثالث أكبر أنواع التجارة غير المشروعة ربحية في العالم بعد المخدرات والأسلحة.

Centre de Recherche en Aménagement du Territoire
cratconstantine
Campus Zouaghi Slimane, Route de Ain el Bey,
Constantine, Algérie
(+213)044956978
(+213)044956978
Centre de Recherche en Aménagement du Territoire (CRAT)

وقد تضرر ما يقارب 10% من الآثار السورية نتيجة الحرب، مما أدى إلى إدراج المواقع الستة المسجلة في قائمة التراث العالمي لليونسكو ضمن قائمة المواقع المهددة بالخطر (الحرب في سوريا "نهاية العالم الثقافية"، 2021). أما فيما يتعلق بعمليات التخريب التي شهدها متحف الموصل، فقد تم تدمير ونهب قطع أثرية لاتقدر بثمن تعود إلى الفترات الآشورية والهيلينستية (عدنان المحمد، 2023). إن التراث الثقافي مهدد أيضًا بتغير المناخ، لا سيما في منطقة البحر الأبيض المتوسط. فارتفاع درجات الحرارة وتقلب رطوبة الهواء وتباين مستويات المياه الجوفية، وزيادة وتيرة الفيضانات وحرائق الغابات، فضلا عن الانهيارات الأرضية وموجات الحر، بالإضافة إلى تآكل السواحل وارتفاع مستوى سطح البحر وزيادة فترات الجفاف، كلها مؤشرات لها آثارها على استقرار وحفظ التنوع الثقافي والبيولوجي (كابسوميناكيس وآخرون، 2022).

كما لم تسلم الجزائر من تضرر تراثها الثقافي، فقد دُمرت فوغارة بتندوف بشكل شبه كامل تقريبا، وتحولت سواقيها إلى مكب نفايات عشوائية (رميني، 2019). كما فقدت قصور وواحات وادي مزاب توازنها البيئي بسبب التوسع العمراني والضغوط الحضرية. وقد أدى الإفراط في ادخال المنشآت الخرسانية الجديدة التي لا تتناسب مع المنطقة إلى زوال التراث المعماري وارتفاع منسوب المياه وتلوث المياه الجوفية بسبب انسداد شبكات الصرف الصحي، بالإضافة إلى انجراف التربة الناتج عن اختفاء الغطاء النباتي (بن صالح وآخرون، 2018)."

من ناحية أخرى، فإن الاستخدام غير السليم لبعض المواقع المصنفة على غرار القطاع المحفوظ في قسنطينة من قبل المستخدمين، يعمل على تغذية التغيير والتلف الذي يلحق بالتراث.

بدءا بالمضاربين (المهربين) الذين يدخلون مواد غير مناسبة لإعادة تصميم منازلهم أو مساحاتهم التجارية (بومعزة 1998) ، إلى السكان الذين يدمرون منازلهم عمدًا بهدف الحصول على سكن اجتماعي جديد بسرعة أكبر(فنتازي وآخرون 2019)؛ يبدو أن المدينة القديمة في قسنطينة، على غرار العديد من الأنسجة التقليدية، قد تضررت بشدة من التدهور المستمر.

إن الإدراك بهشاشة منطقة ما يستوجب استخدام تقنيات جديدة ومتقدمة، ليس حفاظا على الثقافة التاريخية واحترامها فحسب، وإنما لتعزيز وتثمين قيمتها، وضمان استخدامها الفعال، من خلال تحديد الإجراءات المناسبة التي تهدف إلى تعزيز السياحة الثقافية والطبيعية.

كما يجب علينا أيضا أن نأخذ بعين الاعتبار التقدم العلمي من أجل التطلع إلى المستقبل، واكتساب معارف وأساليب وأدوات جديدة. فكل حضارة تترك أثرًا لهويتها من خلال دمج هوية الماضي والتطلع إلى المستقبل. نحن بحاجة إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة من أجل تثمين وتعزيز المناطق وقيمها والترويج لها، لجعل الأصول الثقافية في متناول السياح.

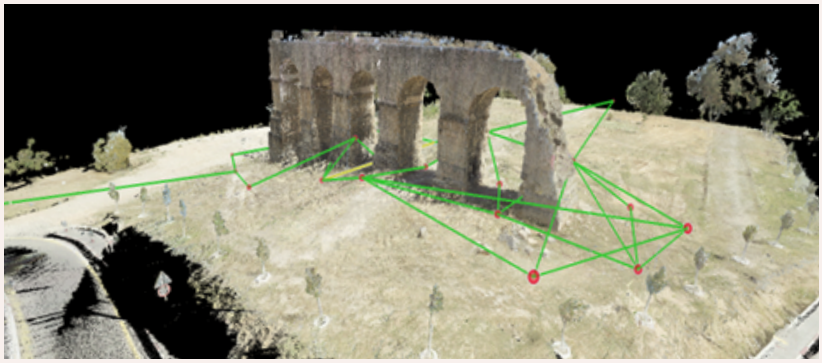

حيث يتجه الباحثون والمتخصصون نحو تبني الحلول الرقمية واعتماد التقنيات المتقدمة كبديل عن الأساليب التقليدية. ويشمل ذلك دمج تقنيات مثل LIDAR الطائرات دون طيار (UAV)، وذلك في إطار الاستدامة البيئية والواقع الرقمي. كما يُعدّ المسح ثلاثي الأبعاد والبصمة الرقمية للمباني أو المواقع أدوات مفيدة للغاية للحفاظ على المظهر الأصلي للمواقع واستعادتها عند الحاجة(فارول، ف. وأكسيز، م، 2024).

شهدت الرقمنة توسعًا كبيرًا في مجالات أرشفة، حفظ، ترميم وتثمين التراث الثقافي والطبيعي خصوصا في بيئة محفوفة بالمخاطر. على غرار حريق نوتردام في باريس عام 2019م، حيث لم يكن من الممكن تنفيذ أعمال الترميم إلا بفضل وجود مسح ضوئي سابق للمعلم التاريخي، كان قد تم تسجيله قبل بضع سنوات (كوستانتينو وآخرون، 2020).

من ناحية أخرى، فإن الإمكانيات التي توفرها التكنولوجيا الرقمية أتاحت إمكانية الوصول إلى الكيانات التراثية دون أية قيود زمنية أو جغرافية، مما سمح لجمهور أوسع بالاستفادة منها، وهو ما فتح آفاقا جديدة للمعرفة، والنقل، والمشاركة. كما ساهمت مختلف التقنيات وتطبيقات الهاتف المحمول في إثراء المناهج متعددة التخصصات المتعلقة باستدامة المواقع التراثية وتوظيفها في السياحة، وذلك من خلال نماذج مثل نمذجة معلومات البناء (BIM)، ونظم المعلومات الجغرافية (GIS)، والتوأم الرقمي (DT)، والواقع الافتراضي (VR)، والواقع المعزز (AR)، والتعلم العميق (DL)، والطباعة ثلاثية الأبعاد، وسلسلة الكتل (تقنية البلوك تشين) ، (البلقسي، وشحاتة، أ، 2004).

تساهم التقنيات الرقمية أيضًا في تعزيز قدرة المناطق على الصمود. فمن ناحية ، تتيح حماية سلامتها مع جعلها في نفس الوقت أكثر وضوحًا وتنافسية في إطار اقتصاد سياحي عالمي ومترابط بشكل متزايد.

يتناول الإطار المفاهيمي الذي يظمه هذا الملتقى إمكانية التقدم التكنولوجي في الحفاظ على التراث وتنشيط السياحة في المناطق المعرضة للخطر؟ ويتمثل الهدف منه في بناء استراتيجية للبحث والتطوير، من خلال سلسلة من الدراسات والتجارب والمداخلات، التي من شأنها أن تساهم في وضع ميثاق مرحلي لتطبيق التقنيات المتقدمة. ليس فقط بهدف تثمين الممتلكات التراثية وإدارة المخاطر التي تتعرض لها فحسب، بل يشمل ذلك أيضًا تعزيز السياحة في المناطق الثقافية والطبيعية. هذه المقاربة ستجعل من التراث رافعة استراتيجية للتنمية الإقليمية المستدامة، مع الالتزام باحترام الثقافة التاريخية وحمايتها.

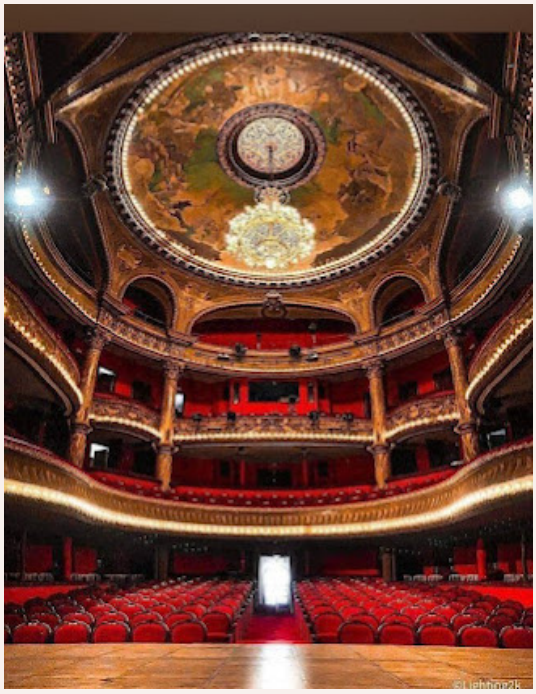

في هذا الإطار، وبمناسبة الاحتفال بشهر التراث الذي تنظمه وزارة الثقافة والفنون الجزائرية (من 18 أفريل إلى 18 ماي)، والمُقام في عام 2024 تحت شعار "التراث الثقافي وإدارة المخاطر"، وتزامنا مع احياء اليوم الدولي للمعالم والمواقع لسنة 2024م، الذي أطلقه المجلس الدولي للمعالم والمواقع ICOMOS تحت شعار "الكوارث والصراعات من منظور ميثاق البندقية".

يسعى مركز البحث في تهيئة الاقليم (CRAT) من خلال هذا الملتقى إلى فتح مجال للتفكير والنقاش حول قضايا الحفاظ على التنوع الثقافي والتنوع البيولوجي وعلاقتهما بتخطيط وتطوير المناطق.

بعبارة أخرى، يطمح مركزنا من خلال الفرص المتاحة، إلى تقديم سبل بحثية تتيح بناء استراتيجية للحفاظ وحماية التراث وتثمينه، وتنشيط السياحة في المناطق الثقافية والطبيعية بالاعتماد على التقنيات المتقدمة. كما تهدف هذه المقاربة إلى تحقيق توازن بين تثمين التراث في بيئة معرضة للخطر والسياحة والابتكار. سيتناول الملتقى المحاور التالية:

المحور الأول: التراث الثقافي والطبيعي كرافعة للتنمية المستدامة للمناطق.

المحور الثاني: المخاطر الكامنة في الأقاليم الثقافية والطبيعية.

المحور الثالث: التقنيات المتقدمة في خدمة جاذبية التراث الثقافي والطبيعي وتوظيفه سياحيًا.

المحور الرابع: تطبيق التقنيات المتقدمة في حفظ التراث وإدارة المخاطر المرتبطة به.

Centre de Recherche en Aménagement du Territoire
cratconstantine
Campus Zouaghi Slimane, Route de Ain el Bey,
Constantine, Algérie
(+213)044956978
(+213)044956978
Linked in
Centre de Recherche en Aménagement du Territoire (CRAT)